

الانثروبولوجيا الاجتماعية وانعكاسها برواية "بداية ونهاية"، لنجيب محفوظ.
**Social anthropology and its reflection in the novel "Bidaya
Wanihaya", by Naguib Mahfouz.**

د. محمد موسى فقرا

تلخيص

ان رواية "بداية ونهاية" للكاتب نجيب محفوظ تركز على الحياة والمشاكل الاجتماعية بما فيها الفقر والانحراف بصورة أساسية، اذ تربط الرواية الواقع الاجتماعي ومشكلاته والتكوين النفسي لكل شخصية في الرواية وسعيه في اطار ذلك للوصول الى مبتغاه من تلك الحياة. اذ توضح الرواية بداية ونهاية العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين الافراد انفسهم ببعض في نفس الاسرة. وتظهر لنا الرواية مدى صعوبة المعيشة الاقتصادية والاجتماعية التي حلت على المجتمع المصري، ومدى صعوبة الحياة عند أبناء الطبقة الاجتماعية الشعبية التي عانت من صعوبة الحياة والعيش بمستوى مقبول، فنرى بان الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة قد غلبت في الرواية والتي أدت في النهاية الى سوء الخاتمة كالانتحار.....

كلمات مفتاحية: الرواية، الانثروبولوجيا الاجتماعية، الطبقة الاجتماعية الشعبية، الفقر.

Abstract

The novel "Bidaya Wanihaya" by Naguib Mahfouz focuses on life and social problems, including poverty and delinquency, mainly. As the novel explains the Bidaya Wanihaya of the relationship between the individual and society and between the individuals themselves and each other in the same family. The novel shows us the extent of the difficulty of economic and social living that befell the Egyptian society, and the extent of the difficulty of life among the people of the popular social class, who suffered from the difficulty of life and living at an acceptable level...

Keywords: novel, social anthropology, popular social class, poverty.

المقدمة

رواية "بداية ونهاية" تجسد واقع المجتمع المصري ابان الحرب العالمية الثانية والتي برزت فيها الفروق بين طبقات المجتمع المصري، اذ تسرد الرواية حال اسرة كاملة مكونة من الاب كموظف بسيط يعمل في وزارة المعارف، الام وابنتها نفيسة وثلاثة أبناء (حسن، حسنين وحسين)، تصف الرواية بين تلك الاسرة والظروف الاجتماعية الرهيبة التي واجهتهم بعد موت الاب الذي كان المعيل الأول للأسرة وبعدها حلت الكارثة على الاسرة التي اضطرت الى التخلي عن اساسيات الحياة ان كان ذلك من خلال بيع اثاث المنزل، او اللجوء الى الرذيلة والمتاجرة بالمخدرات كل ذلك من اجل كسب المال للعيش بمستوى لائق. تظهر لنا رواية "بداية ونهاية" ملحمة كاملة تضم عذابات النفس البشرية والصراع

القاتل بين الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي تواجدت داخل المجتمع المصري التي غلبت هذه الظروف في النهاية ودفعت أبناء الاسرة الفقيرة التخلي عن اساسيات الحياة.

هدف المقال

القاء الضوء على الأنثروبولوجيا الاجتماعية وانعكاسها في رواية "بداية ونهاية".

أهمية المقال

يعتبر موضوع " الأنثروبولوجيا الاجتماعية وانعكاسها برواية "بداية ونهاية"، لنجيب محفوظ، من المواضيع المهمة في مجال الأنثروبولوجيا عامة، والأنثروبولوجيا الاجتماعية خاصة، وذلك يعود الى ارتباط احداث موضوع الرواية واحداثها بالأنثروبولوجيا الاجتماعية .

المبحث الأول

مفهوم الرواية لغة، واصطلاحا.

أولا لغة: هي جمع روايات للرجل الكثير الرواية وروى في الامر نظر فيه وتعقبه وتفكر (ابن منظور ٢٠٠٠: مجلد ٥، ٢٧١-٢٧٥).

ثانيا اصطلاحا: "الرواية هي تشكيل للحياة في بناء عضوي يتفق وروح الحياة ذاتها ويعتمد هذا التشكيل على الحدث النامي الذي يتشكل داخل وجهة نظر الروائي، وذلك من خلال شخصيات متفاعلة مع الاحداث والوسط الذي تدور فيه الاحداث"(الورقي ١٩٩٨ : ٥٠).

ويعطي الناقد العربي "محمد غنيمي هلال" تعريف للرواية: "هي قصة معقدة كالحياة متعددة الجوانب، ممتدة، حسية المعالم، وهي بيان موقف انساني يكون فيه جهل الانسان ذا معنى.(هلال ٢٠١٦ : ٥٤٩).

اذا الرواية هي تشكيل للحياة ويعتمد هذا التشكيل على حدث الانسان في خلال شخصيات متفاعلة مع الاحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الاحداث لكي تصل في النهاية الى نتيجة اجتماعية او سياسية او فلسفية. ان نشأة الرواية في الادب العربي ترتبط ارتباطا مباشرا بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي، ويظهر ذلك جليا في رواية "بداية ونهاية"، للكاتب نجيب محفوظ الذي كتب هذه الرواية خلال الحرب العالمية الثانية والتي من خلالها اظهر جليا الأوضاع الاجتماعية السياسية والاقتصادية الصعبة التي تخللت داخل المجتمع المصري.(هيكل ١٩٩٤ : ٣٩-٤٠).

المبحث الثاني

الأنثروبولوجيا الاجتماعية وانعكاسها في رواية "بداية ونهاية".

قد عرف العلماء ان الأنثروبولوجيا الاجتماعية تعد فرعاً من فروع علم الاجتماع، وتاريخاً يمكن عدها وليدة لعلم الاجتماع، الا ان علم الاجتماع اقدم تاريخاً فنشأته ترجع الى القرن التاسع عشر في إنجلترا عد يد اوغست كونت^١ وهربرت سبنسر^٢، اما الانثروبولوجيا الاجتماعية فنشأت في بدايات القرن العشرين على يد العالم مالمينوفسكي^٣ ووراد كليف براون^٤ (الجوهري، علياء، سعاد واخرون ٢٠٠٤: ١٣-١٨).

يمكن الاستفادة من الأنثروبولوجيا الاجتماعية في صياغة الهوية الإنسانية، وعلى المستوى الوطني فهي العلم الذي يحدد الهوية الخاصة بمجتمع الدول الحديثة (فهيم ١٩٨٦: ١٣). وبذلك يمكن القول ان الأنثروبولوجيا الاجتماعية بحكم الدراسات المقارنة ترتبط بالعديد من العلوم الأخرى، مثل علم الاجتماع، والفلسفة، وعلم السياسة، ودراسات الأديان (فقرا ٢٠٢٢: ٨-١٠).

مما تم ذكره فان الأنثروبولوجيا الاجتماعية تظهر بصورة جلية في رواية "بداية ونهاية"، اذ طرحت الرواية الكثير من المواضيع والقضايا ولم تكن العاطفة ثانوية فيها، لكن فداحة القضايا الأخرى جعلتها تبدو كذلك، فكانت هناك قصة لعائلة مكونة من الاب والام والابناء (حسن، حسين، حسنين ونفيسة). فتناقش الرواية الكثير من القضايا الاجتماعية وتركز على الطبقة الاجتماعية الشعبية المتوسطة، وعلى وضع العائلة بعد وفاة الاب الذي كان المعيل الأول لأسرته. وهذه المصيبة وفاة الاب دفع بالعائلة الى اليأس والانحراف وذلك على ضوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية الصعبة التي حلت عليهم. فنرى بان الكاتب نجيب محفوظ أراد من خلال الرواية اظهار عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بشكل رائع جدا من خلال تقسيمة للأدوار في الرواية، اذ من خلال تلك الأدوار للعائلة نرى جل الأنثروبولوجيا الاجتماعية وكيفية انعكاسها في الرواية، فنرى بان الأخت نفيسة التي كانت تعمل بالخياطة لتلبية احتياجات الاسرة من الطعام والشراب وعلى الرغم من عدم رغبة الاخوة الا ان ضغط الفقر دفعهم للسكوت على الرغم منهم جميعاً، وعلى الرغم من ذلك لم تحصل الفتاة على المال الكافي من عملها مما دفعها سرا للعمل في البغاء في سبيل الحصول على المال وهو ما أدى الى انتحارها فنرى جليا الدور الأنثروبولوجي البارز من خلال الأوضاع الإنسانية الصعبة والظروف البيئية المعيشية

^١ اوغست كونت: (١٧٩٨-١٨٥٧)، عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، الذي يعتبر بمثابة الاب الشرعي للفلسفة الوضعية ومؤسسها.

^٢ هربرت سبنسر: (١٨٢٠-١٩٠٣)، وهو فيلسوف بريطاني وهو مؤلف كتاب "الرجل ضد الدولة"، ويعتبر سبنسر الاب الثاني لعلم الاجتماع بعد اوغست كونت.

^٣ برونياسلاف كاسبر مالمينوفسكي: (١٨٨٤-١٩٤٢)، عالماً بولندياً مختصاً في علم الانسان ويعد من اهم علماء الانسان في القرن العشرين، وهو من اهم الرواد في علم الانسان التطبيقي.

^٤ الفريد رادكليف براون: عالم في علم الانسان ولد عام ١٨٨١م في إنجلترا.

الصعبة التي عاشتها العائلة في الرواية، ومظهر اخر للأنثروبولوجيا الاجتماعية يظهر في دور الابن حسن الذي تخلى عن الفتاة التي يحبها لأنها فقيرة وبحث عن فتاة غنية ليتزوجها ولكي يستفيد من الطبقة الاجتماعية المرموقة. ودور حسنين الذي كافح وناضل في مسار التعليم ليصبح ضابط شرطة ولكن الفقر وسوء المعيشة الصعبة لاحقة لكي يزوج به الى العمل في تجارة المخدرات ليحصل على المال الذي يهباه للعيش بشكل افضل.

كما وطرحت الرواية مواضيع اقتصادية ومعيشية يعانيها الشعب المصري الذي عاش تحت وطأة الجوع والفقر، وأيضا تطرقت الرواية الى مواضيع ثقافية وتراثية بصيغة معلوماتية قام الحوار بحملها في مستهل الرواية، كما قام الوصف المباشر بحملها خلال الأدوار التي تجلت لنا في الرواية من خلال العائلة (الام الاب والابناء-حسن حسين حسنين ونفيسة)، اذ ان الشخصيات في الرواية لم يتحملوا تلك الظروف المعيشية الصعبة داخل المجتمع المصري، وبالتالي نرى بان الكاتب وصف حال الطبقة الاجتماعية الشعبية والوسطى التي كانت موجودة داخل المجتمع المصري ابان الحرب العالمية الثانية.

في النهاية يظهر لنا الكاتب النهاية المأساوية التي حلت بالعائلة، وتغلب الظروف الاجتماعية الصعبة على أبناء العائلة التي لم يكن امامها سوى سوء الخاتمة خاصة الانتحار(نفسية انتحرت، واخوها أيضا) ، وكان ذلك الانتحار سببه سوء المعيشة وقسوتها التي تواجد داخل المجتمع المصري.

المصادر

- ابن منظور، جمال الدين. *لسان العرب*، مجلد ٥، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- الورقي، سعيد بيومي. *اتجاهات الرواية العربية المعاصرة*، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.
- هلال، محمد غنيمي. *النقد الادبي الحديث*، دار النهضة، مصر، ٢٠١٦.
- الجوهري محمد، شكري علياء، عثمان سعاد واخرون. *الأنثروبولوجيا الاجتماعية قضايا الموضوع والمنهج*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- فهيم، حسين. *قصة الأنثروبولوجيا*، الكويت، ١٩٨٦.
- هيكل، احمد. *تطور الادب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الكبرى الثانية*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.
- فقرا، محمد. *الأنثروبولوجيا والنزعة الاستعمارية بين الماضي والحاضر*، مطبعة الهدى، باقة الغربية، ٢٠٢٢.